الهوية الوطنية وإشكالية التعدّد اللّغوي في الجزائر

National identity and the problem of multilingualism in Algeria

د. سليمة عياض*
Dr. Salima AIAD
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة –الجزائر)
Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(Ouargla-Algeria)
aiad.s@gmail.com

تاريخ استلام المقال:2020/03/20	تاريخ القبول: 2020/04/22	تاريخ النشر:2020/06/15

ملخص

شغلت مسألة "التعدّد اللغوي" اهتمام الباحثين في شتى المجالات، لأنّه يمثّل سلاحا ذا حدّين، فقد يكون وسيلة تمكّن المجتمعات الأقل تطوّرا من اللحاق بركب المجتمعات المتطوّرة التي تفرض لغاتها المهيمنة في مجال العلوم ، ولكنّه في مقابل ذلك قد يخلّف آثارا سلبية على المدى القريب وعلى المدى البعيد تمسّ بثوابت الأمّة، ومن بينها الهويّة الوطنية .ممّا قد يتسبّب في تهديد أمن المجتمعات واستقرارها.وهذا ما سنقف عليه في هذا المقال الموسوم بـ: التعدّد اللّغوي وانعكاساته على مسألة الهوية في الجزائر من خلال التعرّض لمفهوم الهويّة، و مفهوم التعدّد اللغوي، وأخيرا للإشكالات التي يطرحها التعدّد اللغوي في مسألة الهوية.

الكلمات المفاتيح: لغة؛ تعدد لغوي؛ هوية.

Abstract

The question of "multilingualism" has occupied the interest of researchers in various fields, because it represents a double-edged sword. It can be a way for less developed societies to catch up with developed societies which impose their dominant languages in the field of science, but in return it can have negative short

* **المؤلف المرسل:** سليمة عياض **البريد الإلكتروني:** aiad.s@gmail.com

term effects and long term affects the foundations of science. nation, especially the issue of national identity, which can threaten the security and stability of societies. This is what we will focus on in this tagged article: Linguistic plurality and its implications on the question of identity in Algeria through an exposure to the concept of identity, the concept of multilingualism, and finally the problems posed by multilingualism in the question of identity.
Keywords: Language; multilingualism; identity.

1.المقدّمة:

يشهد العالم اليوم في ظل التطور التكنولوجي المتسارع الذي مسّ جميع المستويات، وساهم في تقريب المسافات، وجعل العالم قرية واحدة صراعا لغويا بين اللغات المتجاورة والمتباعدة، وقد نتج عن هذا الصراع سيطرة بعض اللغات بحكم تصدّرها وامتلاكها لزمام التقدّم التكنولوجي؛ ممّا جعلها تفرض نفسها على المجتمعات الأقلّ تطوّرا، وأصبحت لغات هذه المجتمعات وسيلة لا غنى عنها تساعد تلك المتخلّفة في مواكبة العصر، ومسايرة التقدّم.وقد فرض هذا الواقع على المجتمعات المتخلّفة حتمية تعلّم لغات العلم، التحكّم في أنظمتها وقواعدها ممّا أدّى -نتيجة لذلك- إلى ظهور ما يعرف بـ" التعدّد اللغوي" الذي أصبح قضيّة مركزية تشغل اهتمام كثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالتخطيط اللغوي، ورسم السياسات اللغوية، وفي تخصّصات معرفية متباينة كاللسانيات، واللسانيات الاجتماعية، وتعليمية اللغات،لما له من تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على المجال الاجتماعي، والمجال السياسي، والمجال الثقافي، والمجال التعليمي وغير ذلك.ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد طرح نفسه للدراسة من جوانب مختلفة، لأنّ التعدّد اللغوي يمثّل سلاحا ذا حدّين، فقد يكون وسيلة تمكّن المجتمعات الأقل تطوّرا من اللحاق بركب المجتمعات المتطوّرة ، ولكنّه في مقابل ذلك قد يخلّف آثارا سلبية على المدى القريب وعلى المدى البعيد تمسّ بثوابت الأمّة، ومن بينها الهويّة الوطنية .ممّا قد يتسبّب في تهديد أمن المجتمعات واستقرارها.وهذا ما سنقف عليه في هذا المقال من خلال التعرّض لمفهوم التعدّد اللّغوي، و مفهوم الهويّة، وأخيرا للإشكالات التي يطرحها التعدّد اللغوي، وتهدّد الهوية الوطنية.

2. تعريف التعدّد اللغوي:

إنّ التعدّدُ حكمةُ نُشوءِ العالَم. ذلك أن العالَمَ بأشيائه، وأحيائه لا يتكوَّن عبر سبيل النّسخِ المُطابِقِ وإنما عبر سبيل التنوّع، ولم تتعدَّدُ فينا هويّاتُنا إلا بسبب اختلاف خصوصياتنا فيها. نحن لا نستطيع أن نوجَد إلا مُتَعدِّدين؛ شرط أن نفهم التعدُّدَ من جهة كونِه بُرهانًا على خصوصياتنا وإثراءً لها. ومن ثَمَّ لا تكونُ حياةٌ إلاّ بالتعدُّدِ، ولا يكون تعدُّدٌ إلا باختلاف ملامحنا وثقافاتنا، ودياناتنا، وقومياتنا، وألسنتنا. غير أنّ التعدُّدَ يستوجِبُ حُسْنَ إدارته وتدبيره، وإلاّ سبّب احتكاكًا بين المُتَعدِّدين، ونَمَّى بينهم التوتُّرَ والخلافَ.

 E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

ولعلّ كثرة مشاكل الإنسانِ الراهن تعود في أغلبها إلى سوءِ إدارته لمسألةَ التعدُّد، أو قُلْ إلى سوء إدارته مسألة الخصوصية (السلامي، 2017، ص ..).

وعليه فلا نستغرب حين نقول إنّ التعدّد اللغوي يعدّ ظاهرة طبيعية عرفتها المجتمعات الإنسانية، وهي آية من آيات الله في الكون، وعنها ورد قول الله تعالى:" **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**" (الروم، الآية 22). كما يمثّل ظاهرة اجتماعية إنسانية موروثة تاريخيا. وقد أطلق "لويس" على تغيّر اللغات وتطوّرها "حرب اللغات"، وعن هذا يقول:" لقد التقينا بـ" حرب اللغات " هذه في ساحة المعارك المختلفة من الأسرة إلى السّوق إلى الدّروب التي سلكتها اللّغات المنتشرة في تطويرها" (كالفي، 2008، ص 389)

وقد فرض التعدّد اللغوي نفسه كظاهرة لغوية عرفتها كل المجتمعات العربية وغير العربية ، وأصبح من الصعب إن لم نقل من المستحيل أن نعثر على مجتمع بنظام لغوي أحادي، إلّا نادرا. وأمّا عن مفهوم التعدّد اللغوي فإنّه يختلف بين باحث وآخر:

-فقد عرّفه صالح بلعيد بقوله:" إنّ التعدّد اللغوي هو مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد" (بلعيد، 2010، ص 224)

-وعرّفه الباحث المغربي محمد الأوزاعي فقال:" التعدّد اللغوي هو المقابل العربي للفظ الأجنبي MultiLinguisme، وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميّزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية، كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية ، وإمّا على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عاميّة، مثل الهوشا، والغورمانشا، والسوناي زارما، والتماشيق، والفولفولدة، والتوبو في جمهورية النيجر" (الاوزاغي، 2002، ص 11).

-وقد عرّفه جون ديبوا في قاموس اللسانيات بقوله:" عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد ، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية ، والإيطالية ، والألمانية هي لغات رسمية بها " (Dubois et autres, 1973, 368). وقد تباينت المجتمعات في تقبّلها لقضيّة التعدّد اللغوي، فهناك من يعتبره نعمة فتشبّث به، وخطّط له ليرفع شأنه من خلال آثاره الإيجابية المترتّبة عنه، حتى صيّره التعدّد اللغوي من الدول المتقدّمة ، وهناك من لم يحسن فهمه والتعامل معه ولا العمل به فكان نقمة عليه، وزاده تدنّيا وتدهورا كحال دولنا العربية (ديدوح، 2014، ص www. Almarefh.net).ومن خلال هذه التعاريف يمكن صياغة التعريف التالي:

إنّ التعدّد اللغوي هو موقف لساني جماعي يجمع أكثر من لغة واحدة تعيشه مجموعة لسانية في منطقة جغرافية محدّدة، وهذه اللغات التي يستعملها أفراد المجموعة تضمّ اللغة الأصلية وتضمّ لغات وافدة استقرّت في هذه المجموعة لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية أو ثقافية.

وفي العرف اللساني يشير التعدد اللغوي إلى وجود أنظمة لغوية مختلفة للتواصل ولكل نظام لغوي خصائص ومميزات تختلف عن النظام اللغوي الآخر نحو ما بين العربية، والفرنسية، أو الإنجليزية (لهويمل وحسني، دت، ص 105).

3. أسباب التعدّد اللغوي:

لم ينشأ التعدّد اللغوي من فراغ وإنّما فرض نفسه نتيجة لعدّة أسباب أهمّها:

-الهجرة الجماعية التي تكون لأسباب ثقافية أو سياسية، أو اقتصادية هروبا من الاضطهاد السياسي، أو العرقي أو الديني، وحتى هروبا من الفقر والأمراض، بحثا عن السّلامة والأمن ، وكلّها تؤدّي لاحتكاك قويّ بين اللغات ينعكس في شكل تعدّد لغوي (لهويمل وحسني، دت، ص 112).

-الغزو العسكري الذي يؤدّي إلى فرض لغة المستعمر إلى جانب أو على حساب اللغة الأصلية، مثلما حدث في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي الذي عمل جاهدا على طمس الهوية العربية، والإسلامية للشعب الجزائري في مقابل ترسيخ اللغة الفرنسية ممّا خلّف آثارا سلبية على كل المستويات إلى يومنا هذا.

- العامل الاقتصادي المتمثّل في استقدام الشركات الأجنبية لليد العاملة من جنسيات مختلفة بلغات مختلفة تتعايش جنبا إلى جنب مع اللغات الأصلية.

- العامل الاجتماعي ومن مظاهره التزاوج بين الجنسيات المختلفة الذي ينشأ عنه جيل متعدّد اللغة.

- استعمال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة للغة هجينة تجمع بين الفصحى والعاميّة واللغة الأجنبية قصد الترويج والوصول بأقصر الطرق إلى تحقيق الأهداف، وكذا ما نلحظه في وسائل التواصل الاجتماعي وما يستعمله روّادها في الكتابة من لغة هي مزيج بين العامية والأجنبية، وبعيدة كل البعد عن اللغة العربية.

- العامل التربوي ونقصد بذلك مجال التعليم الذي أسهم بشكل كبير في وجود التعدّدية اللغوية ، وذلك بسبب استعمال اللغة الأجنبية، إلى جانب اللغة الأمّ في مراحل التعليم المختلفة، "فالمشهد التعليمي الجامعي في البلاد العربية يتناقض مع هذه الوجهة؛ إذ إنّ كثيرا من التخصّصات تدرّس بلغات أجنبية، لا سيّما التخصّصات العلمية التي تدرّس باللغة الأجنبية؛ ممّا يجبر الطّالب على الثنائية اللغوية، وذلك باستعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي، بالإضافة إلى أنّ هناك مصطلحات لا مقابل لها في لغته الأمّ؛ ممّا يفرض عليه استخدام المصطلح باللغة الأجنبية دون محاولة تعريبه" (عناني وبرهومة، 2007، ص 16-107).

4. تعريف الهوية:

عرف مفهوم الهوية انتشارا واسعا، فقد اكتسح في بضعة عقود مجمل العلوم الإنسانية ، وفرض نفسه في تحليل حقائق جدّ متنوّعة، وعلى الرغم من ذلك فإنّه من الصعب أن تجد تعريفا واحدا متفقا عليه. ولذلك سنعرض لمفهومها لغة واصطلاحا:

1.4. الهوِيَّة لغة:

-جاء في معجم القاموس المحيط، في مادة "هَوَوَ": "الهَوْهَاةُ، وتُضَمُّ: الأحمق، والبئر لا مُتَعَلَّق لها ولا موضع لرِجلِ نازلِها، لِبُعد جالَبْها. والهَوِيَّة، كغَنِيَّة: البعيدة القعر" (الفيروزبادي، 2008، ص 117).

-وجاء في معجم لسان العرب: هوة وهوى . والهوة : البئر قال أبو عمرو، وقيل : الهوة : الحفرة البعيدة القعر، وهي المهوا . ابن الأعرابي : الرواية عرش هوية ، أراد أهوية ، فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء، المعنى : لما رأيت الأمر مشرفا على الفوت مضيت ولم أقم وذلك في قول الشمّاخ:

ولما رأيت الأمر عرش هوية تسليت حاجات الفؤاد بشمرا

. ...وفي الحديث: "إذا عَرَّستُم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض"، وهي جمع هُوَّة وهي الحفرة والمطمئن من الأرض". (ابن منظور، مادة [هـ و ي]).

من خلال ما ورد في معاجم اللغة فإنّ لفظة "هُوِيَّة" أو "هَوِيَّة" تعبّر في الغالب عن كل ما هو وطيء، ومنخفض من الأرض، وحتى مادة "هُوَ" في المعاجم؛ التي اشتُقَّت منها لفظة "هُوِيَّة" لا تحيل إلى أي معنى قد يمتّ بِصِلة إلى المفهوم المتعارف عليه في النسق المعرفي، كما سيأتي معنا في المعنى الاصطلاحي للفظة.

2.4. الهوية اصطلاحا:

تعددت معاني "الهوِيَّة" لدى الباحثين، بحسب الخلفية العلمية لكل باحث، والتي ترتبط إما بالاختلاف في المجال العلمي(علم الاجتماع، الفلسفة، الأنثروبولوجيا، علم النفس، السياسة، التاريخ...الخ)، أو بالاقتصار على مكوّن واحد من مكونات الهوِيَّة. ومن بين هذه التعريفات نورد تعريف الباحث جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين؛ الذي يرى أن: "الهوِيَّة مأخوذة من (هُوَ هُوَ) بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته، لذا نجد الجرجاني في كتابه (التعريفات) يقول عنها: إنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (الجرجاني، دت، ص 216).

-ويعرفها الباحث فتحي المسكيني بقوله: "الهوِيَّة هي ما نحن دون أي جهد وجودي خاص" (المسكيني، 2011، ص 13).

– أما الباحث محمد بودهان فيورد لها معنيين: "المعنى الاشتقاقي: مفهوم (هوِيَّة) في اللغة العربية، وكما استُعمل عند الفارابي على الخصوص، اسم مُصاغ انطلاقا من الضمير المنفصل (هُوَ) ويبدو أنه ترجمة حرفية للفظ اليوناني الأرسطي الذي يعني: (هو نفسه، الشيء المطابق لذاته)، وهو المعنى ذاته الذي

E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

تؤديه في اللاتينية كلمة: idem، التي تعني بدورها: (هو نفسه، هُوَ هُوَ، نفس الشيء)، ومنها اشتق مصطلح identité المستعمل كثيرا في اللغات الأوروبية" (بودهان، 2013، www.hespress.com). أما المعنى الثاني فهو "المعنى الاصطلاحي الذي لا يختلف كثيرا عن المعنى الاشتقاقي ، وبناء على المعنى الاشتقاقي فإنّ هوِيَّة الشيء تعني اصطلاحا: أن يكون ذلك الشيء هو ذلك الشيء، أي: أن يكون هُوَ هُوَ نفسه" (بودهان، 2013، www.hespress.com).

ويقرر الباحث عفيف البوني أن مفهوم الهوِيَّة يتحدد "بناء على الدلالة اللغوية والفلسفية والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح. ويقابل مصطلح (الهوِيَّة) العربي كلمة (identité) و (identity) في الفرنسية والإنكليزية، وهو من أصل لاتيني ويعني: الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما هو عليه" (البوني، 2013، ص 23)

ويرى الباحث محمد عمارة أن هوِيَّة الشيء "هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدّد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات" (عمارة، 1999، ص 6).

كما عرّفها أحد الباحثين في الغرب بأنّها تنظيم الإنسان لعلاقاته وخصائصه ورغباته وتوجّهاته السّابقة واللّاحقة، والتي تعبّر عن ذاته وعن اتّجاهاته نحو النّاس.وعرّفها عالم آخر بأنّها ليست عمليّة عقلية قائمة بذاتها ، وإنّما هي أيضا نتاج التّفاعل بين الإنسان والمؤسّسات الاجتماعية التي يعيش في إطارها كالأسرة ، والطبقة الاجتماعية، والمجموعة الإثنيّة، والمحيط الثقافي والإديولوجي. ويعرّفها باحث ثالث فيقول: إنّ الهويّة إحساس الإنسان بالاستمرارية عبر الحياة وإحساسه بالولاء والانتماء إلى فئة ما أو فكرة ما (www.annaba.orgLnbnwesL62L503.htm).

وقد استنتج أحد الباحثين أنّ شعوب العالم موحّدة من موقع كونها بشرا لهم آمال وأحلام ومشاكل، ولكنّها متمايزة من موقع هوّياتها، وبعبارة أخرى فإنّ للإنسان هوّية خاصّة به تميّزه عن غيره ، وبالتالي هويّة خاصّة بالمجموعة البشرية التي هو أحد أعضائها، وتميّزها عن باقي المجموعات البشريّة الأخرى في هذا العالم.من جهة أخرى إن الهويّة هي الرباط الرئيسي الذي يجمع ويوحّد أناس هذه المجموعة (التلّ، 2006).

5. الهوية وعلاقتها باللّغة:

يؤكّد خبراء العلوم الإنسانية أنّ ثمّة أربع مسلّمات أساسيّة ينبغي استحضارها عند معالجة مسألة اللغة وهي:

-اللغة وعاء للفكر وأداة للتفكير.
-اللغة وسيلة للتواصل.
-اللغة عنوان الهوية للفرد والمجتمع.
- ترتبط اللغة بالثقافة والقيم الحضارية .

وما يهمّنا في هذا المجال هو ذلك الارتباط الوثيق بين اللغة والهويّة، حيث تبرز أهمية اللّغة بوصفها ملمحا أساسا لشعور الفرد، وكذا الجماعة اللغوية بهويّتها، فإلى حدّ كبير يمكننا أن ندرك أشياء كثيرة عن هويّة شخص ما بمجرّد استعماله للغة، فنتعرّف مثلا على جنسيته، و ثقافته، و سنّه، و جنسه، و دينه.

إنّ اللغة أكبر من مجرد معناها التقني المحدّد، و أوسع من كونها مشكلة لغوية؛ فهي في التحليل النهائي رمز للمجتمع العربي، و أداة تفاعل وتواصل وطريقة في التفكير والتعبير، ونمط من الجمال، وفوق هذا كله هي قضية اجتماعية حضارية ذات علاقة وثيقة بكل من هوية الأمة وشخصية المواطن وتمايزها، ومن ثم فهي عامل حاكم في تقوية الانتماء والولاء لدى هذا المواطن (زاهر، 2017، ص 144).

ومن هنا فإنّ أخطر ما يهدّد هوية الأمّة وثقافتها هو مجمل التحديات التي تحيط باللغة وتلك التشوهات التي تنهش لغتنا العربية الجميلة، وتحول دون التفاعل الحي بين التراث الثقافي العربي والثقافة العربية المعاصرة ، باعتبار أنّ اللغة حلقة هذا التواصل، والممارسة الاجتماعية التي يتمّ فيها تنظيم الخبرات وتحديد الهويات (زاهر، 2017، ص 9)

التاريخ اللغوي للجزائر:

إنّ تاريخ اللغة العربية في الجزائر موصول بالفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي ؛ والجزائر سابقة لاعتناق لغة الضّاد لغة القرآن الكريم والمعجزة المحمّدية ، فازدان اللسان الجزائري بتلك اللّغة من خلال فصيلة الفتح الإسلامي، وتعامل أهل الدّيار الجزائرية المحروسة حينها بالعربية في سائر حياتهم، سلما وحربا، فأمدّتهم بالتواصل العالمي مع دول عديدة.

إنّ اللّغة العربية في بداية الفتح وما بعده بعقود غير قليلة كانت على خير حال، حيث كانت متجانسة مع البربرية واللّهجات الأصيلة في البلاد، كما أنّها كانت تتصدّر الواجهة، وقد احتفل السّكّان الأصليّون بها متبرّكين بانتسابها للقرآن الكريم ونبي الإسلام، كيف لا وهي تلك الملّة التي أخرجتهم من الظّلمات إلى النّور، وأذهبت عنهم الرّجس، ودفعت عنهم العدوان والتسلّط من قبل الأعداء، الذين أذلّوهم زمنا طويلا.

وممّا شجّع على انتشار اللّغة في أوساط الأمازيغ –وهم السكّان الأصليون في الجزائر- و كذا العرب تواصل هجرات الدعاة من التابعين –رضوان الله عليهم –وجموع العلماء، والدعاة، والأمراء، والقادة، وقد قويت تلك الحركة في عهد عمر بن عبد العزيز-ﷺ-ووالیه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي" رغّب البربر في مزايا الإسلام فاعتنقه من بقي منهم مشركا أو مسيحيا أو متردّدا، وعكف على تمكين الإسلام من

نفوس المسلمين الجدد بنشر الثقافة الدينية، وتعليم النّاس الفرائض والحلال والحرام ، وبفضل عدم انقطاع سبيل الهجرة إلى المغرب، هجرة الرجال، وتنقّل أرباب المذاهب والأفكار تعلّم السكان مبادئ الدين والعربية وحفظوا القرآن، ممّا استلزم سلامة العيش والتعايش بين أولائك الأقوام والأجناس، والألسن بفضل وحدة الدين الإسلامي وسماحته (خلادي، 2015، ص 71).

سمات الوضع اللغوي بالجزائر إبّان الاستعمار وبعد الاستقلال:

لم يبق الوضع اللّغوي على حاله في بلدان المغرب العربي، وإنّما تغيّر بدخول المستعمر ، وحتى بعد خروجه؛ وقد لخّص الباحث لويس جون كالفي هذا الوضع ببلدان المغرب العربي ومنه الجزائر بوجود أربع لغات مستخدمة بتفاوت، لأداء وظائف شديدة التنوّع، وهذه اللغات هي العربية الفصيحة، والفرنسية، واللغة الأمّ، التي تنقسم إلى لغة أمازيغية في بعض المناطق، ولغة عاميّة قريبة إلى الفصحى في مناطق أخرى، وهو كلام نقل عن حيبلير غرانغيّوم (Gilbert grandguillaume) في كتابه عن التعريب والسياسة اللغوية في بلدان المغرب، يقول: " تستخدم في بلاد المغرب الحالي ثلاث لغات : العربية، والفرنسية، واللغة الأمّ ، أمّا الأوليان فلغة الثقافة، وهما لغتان مكتوبتان، وتستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة، غير أنّ لغة الأمّ الحقيقية التي يستخدمها النّاس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربية، أو البربرية ، وليست هذه اللغة الأمّ إلّا في حالات نادرة جدّا هي لغة مكتوبة" (كالفي، 2008، ص 89).

6. الإشكالات التي يطرحها التعدد اللغوي وتهدّد الهوية الوطنية :

ممّا لا شك فيه أنّ التعدّد اللغوي في الجزائر بات مسألة لغوية لها امتداداتها التاريخية وانعكاساتها المختلفة على الهويّة الوطنية، وعلينا التكيّف معه والتعامل مع إفرازاته بكثير من الواقعية، والمنطق، والحكمة، كي لا يتحوّل إلى مشكلة تقف في طريق التطوّر، وتحول دون تحقيق أهدافنا التنموية الإستراتيجية، وأهم القضايا التي يفرزها التعدّد اللّغوي وتهدّد هوّيتنا الوطنية:

1.6. الصراع اللّغوي: يطرح التعدّد اللغوي صراعا لغويا يفضي إلى سيطرة لغات وإزاحة أخرى ، وخاصّة عندما يغيب التدبير اللغوي، ويكون الناتج تهديدا لهويّة المجتمع وزعزعة للوحدة، والثقافة الوطنية، وكذا للمصير المشترك. ولعلّ أهمّ عامل جعل التعدّد اللغوي رديفا للصدام الهويّاتي يتمثّل في عامل الاستعمار أو بالأحرى الاستيطان كما أشرنا إليه في أسباب التعدّد اللغوي، هذا الاستعمار أو الاستيطان وما له من دور حثيث ومستمرّ في نشر ثقافته ولغته ، فيجد الفرد نفسه بلغتين، وثقافتين، ومنظومتين قيميتين مختلفتين، قد تصلان حدّ التنافر والتناقض، علما أنّ اللّغة مقوّم أساس للشعور بالهويّة، هويّة الانتماء، التي تجعل الفرد على المستوى النظري مطمئنّا داخل السياق الاجتماعي في شكله المتحضّر والمنفتح، حيث يجد يسرا في الاندماج، الأمر الذي يسهّل عليه القيام بواجباته والمطالبة بحقوقه (خليف2017، ص 73).

E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

-**الصراع الثقافي**: إنّ صراع اللغات هو في الوقت نفسه صراع بين الثقافات وبين القيم والمرجعيات التي تتبنّاها كل ثقافة، بل إنّه لم يعد من الممكن الحديث عن أحادية هوياتية حتى داخل المنظومة اللغوية الواحدة؛ لأنّ طبيعة التواصل القائمة اليوم على الاختراق عبر ما يعرف بالعولمة، لم يعد من الممكن معها الإبقاء على الاستعمال اللغوي المحلّي والوطني، من دون انفتاح ودون جهود جبّارة تأخذ على عاتقها ربط اللغة بالفكر والاقتصاد، زيادة على تطويرها على مستوى البنية والاستعمال (خليف2017، ص 74)، وهذا الواقع ينطبق على الجزائر التي تتعايش فيها أربع لغات تحمل كلّ واحدة ثقافة تختلف أو تقترب فيما بينها، وتتمثّل هذه اللّغات في اللّغة العربية، وهي اللّغة الرّسمية في البلاد، واللّغة الأمازيغية والتي تنقسم بدورها إلى لهجات متشابهة، أو مختلفة في بعض المناطق من الجزائر، واللّغة الفرنسية وهي اللّغة الثانية بعد العربية، في مراحل التعليم الأولى، والأولى في مراحل التعليم الجامعي، وفي الإدارات ومؤسّسات الدّولة، واللّهجات العاميّة التي تنتشر في كلّ ربوع الجزائر، وترجع في أصولها إلى اللّغة العربية الفصحى.وكلّ واحدة من هذه اللّغات تحمل ثقافة خاصّة بها، تجعلها في كثير من الأحيان تتصارع مع الثقافات الأخرى.

الصراع الإديولوجي : وهذا الصراع الذي يطرحه التعدّد اللّغوي–فضلا عن أبعاده الهُوياتية الظاهرة المُتعلقة باللّغة– صراع إيديولوجي بالأساس، وهو يتعلق بخيارات سياسية وثقافية، ومواقف فكرية ترجع إلى بدايات بناء الدولة الوطنية عشية الاستقلال. فانقسامُ النُخب، يومها، لم يكن انقسامًا لغويًا فحسب؛ وإنّمَا انشقاقا في التصوّر والمرجعيات الإيديولوجية المُرتبطة بالبناء السياسي والاجتماعي. وبالتالي فالأمرُ ليس جديدا على المشهد الثقافي والسياسي الجزائري، ولكن ما يُلفت الانتباه، وما يُثير الاستغراب هو دوامُ التشنج الإيديولوجي التقليدي بين موقفين متصادمين، ورؤيتين للعالم لا تكادان تلتقيان. ففي حين يرى أنصارُ العربية في حضور اللّغة الفرنسية إرثا كولونياليا ومدخلا ثقافيا أو «حصان طروادة» يضمنُ أبديا تأمين مصالح فرنسا الاقتصادية والسياسية، يرى الفرنكوفونيون الجزائريون، بالمقابل، في اللّغة العربية وتراثها مَعيناً للأصولية الدينية ومعاداة الحداثة الحقوقية والسياسية والثقافية، والتحنط في مناخ القرون الوسطى. هذا الصدامُ، لم يستطع إلى اليوم تجاوز المُسبَّقات الثقافية والعرقية التي تأسَّس عليها التنابذ بين مكوّنات النُخب الجزائرية منذ عقود. إذ يشهدُ الواقع الجزائري اليوم –ثقافيا وإيديولوجيا– بروز نُخب جزائرية مُعرَّبة تُناضل من أجل سيادة رؤية مُختلفة وغير أصولية للأشياء. وهي نُخبٌ مُنفتحة على مُنجزات العقل الحديث ومُشكِلات العصر وقضايا التحديث ولا تعوّل على ارتباط العربية بالمقدَّس الدينيّ من أجل إنقاذها. بينما لا يزال الكثير من الكُتاب الفرانكوفونيين عندنا يُعيدون علينا بصورةٍ مُملّة جدا تلك الغنائية المُبتذلة -المُتحدرة من محمد ديب أو كاتب ياسين وصولا إلى لحظة كمال داود- والتي تعتبرُ اللّغة العربية «لاتينية» أخرى نُطيل أمد حضورها بيننا (دلباني، 2017)

مقترحات لحل الإشكاليات التي تطرحها مسألة التعدّد اللّغوي:

-إنّ مسألة التعدّد اللّغوي هي مسألة واقعة ووضع مفروض لا محالة من التعايش معه ، وتعزيز نقاط القوة فيه، وتثمينها وتجاوز نقاط الضعف التي يطرحها لضمان التعايش بين الأفراد والجماعات، وتحقيق الوحدة والتعاون بين مختلف الفئات تحت سقف الوطن الواحد.

-يعدّ التعدد اللغوي حالة إيجابية ووضعية راقية سواء للفرد أو المجتمع، خصوصا حينما يتم تجسيده عن طريق تدبير لغوي راق يأخذ على عاتقه تطوير اللغة أو اللغات الوطنية في مقام أول، وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية وتوفير شروط ترقيتها واستعمالها خصوصا في المجالات البحثية والاقتصادية .فيكون التعدد بهذا المنطلق مدخلا لتنافس إيجابي بني الأفراد والجماعات ليس بغرض الإقصاء، و الإحالة إلى العدم، وإنّما بغرض إيجاد أجواء التنافس المفضية للاجتهاد والإبداع، فيعمد الفرد إلى تعلم أكثر من لغة، كما يتعايش المجتمع الذي يتحدث أفراده أكثر من لغة، والأمر ينسحب أيضا على الإنسانية برمتها. من منطلق أن اللغة هي الفكر، وكلما عمد الإنسان إلى تطوير فكره وجعله أكثر تحضرا كلما انعكس الأمر إيجابيا على واقع اللغة ومن ثم اللغات (بشير خليفي، 2017).

-إن نجاح التعدد اللغوي في مجتمع ما، رهين بتجاوز مواطن الاستلاب الحضاري، وملمح ذلك هو إحساس بهوية مطمئنة مقتنعة بمجالها التداولي، وتعتني بالإضافات المحققة عبر إسهامات اللغات والثقافات المختلفة، مع العلم أن صراع القيم والمرجعيات أمر وارد في التعاملات بين البشر والمجتمعات في ظل منطق الحوار والتواصل ضمن أبجديات التعايش، والتعارف والتسامح، بيد أنه يفقد معناه وجدواه حينما يتحول إلى صدام مبدؤه ومنتهاه هويات متعصبة تعتمد على الإقصاء ولا تعترف بمبدأ التواصل والتعايش(بشير خليفي، 2017).

7.الخاتمة:

في ختام هذا المقال وصلنا إلى جملة من النتائج أهمّها:

- يشير التعدد اللغوي في العرف اللساني إلى وجود أنظمة لغوية مختلفة للتواصل، ولكل نظام لغوي خصائص ومميزات تختلف عن النظام اللغوي الآخر نحو ما بين العربية، والفرنسية، أو الإنجليزية.

-ينشأ التعدّد اللّغوي نتيجة لظروف سياسية، أو عسكرية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو تربوية، أو غيرها.

- الهويّة إحساس الإنسان بالاستمرارية عبر الحياة، وإحساسه بالولاء، والانتماء إلى فئة ما، أو فكرة ما ويقابل مصطلح (الهوِيَّة) العربي كلمة (identité) و (identity) في الفرنسية والإنكليزية، وهو من أصل لاتيني ويعني: الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما هو عليه.

-اللغة عنوان الهوية للفرد والمجتمع.

-أخطر ما يهدّد هوية الأمّة العربية وثقافتها هو مجمل التحديات التي تحيط باللغة العربية، وتلك التشوهات التي تنهشها، وتحول دون التفاعل الحي بين التراث الثقافي العربي والثقافة العربية المعاصرة.

-يتّسم الوضع اللّغوي في الجزائر بوجود أربع لغات مستخدمة بتفاوت، لأداء وظائف شديدة التنوّع، وهذه اللغات هي العربية الفصيحة، والفرنسية، واللغة الأمّ، التي تنقسم إلى لغة أمازيغية في بعض المناطق، ولغة عاميّة قريبة إلى الفصحى في مناطق أخرى.

-من بين الإشكالات التي يطرحها التعدّد اللّغوي في الجزائر، وتهدّد الهويّة الوطنية نجد : الصراع اللّغوي، والصراع الثقافي، والصراع الإديولوجي.

- إنّ مسألة التعدّد اللّغوي هي مسألة واقعة ووضع مفروض لا محالة من التعايش معه ، وتعزيز نقاط القوة فيه، وتثمينها، وتجاوز نقاط الضعف التي يطرحها لضمان التعايش بين الأفراد والجماعات، وتحقيق الوحدة والتعاون بين مختلف الفئات تحت سقف الوطن الواحد.

- يعدّ التعدد اللغوي حالة إيجابية ووضعية راقية سواء للفرد أو المجتمع، خصوصا حينما يتم تجسيده عن طريق تدبير لغوي راق يأخذ على عاتقه تطوير اللغة أو اللغات الوطنية في مقام أول، وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية وتوفير شروط ترقيتها واستعمالها خصوصا في المجالات البحثية والاقتصادية.

- يجب أن يكون التعدّد اللّغوي مدخلا لتنافس إيجابي بين الأفراد والجماعات ليس بغرض الإقصاء أو الإحالة إلى العدم، وإنّما بغرض إيجاد أجواء التنافس المفضية للاجتهاد والإبداع.

-إن نجاح التعدد اللغوي في مجتمع ما، رهين بتجاوز مواطن الاستلاب الحضاري، وملمح ذلك هو إحساس بهوية مطمئنة مقتنعة بمجالها التداولي، وتعتني بالإضافات المحققة عبر إسهامات اللغات والثقافات المختلفة.

8- قائمة المراجع:

-بشير خليفي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/ قسم الآداب و الفلسفة العدد 18 - جوان 2017.

- بليعد، صالح. (2010). في الأمن اللغوي. (د ط). دار هومة . الجزائر.

- بودهان، محمد. ما الهوِيَّة؟. الجريدة الالكترونية "هسبرسwww.hespress.com ". بتاريخ: 24 فيفري 2013.

- عز الدين، إبراهيم. (2008). اللغة في مؤسّسات التعليم العامّ والعالي والأعلى. مجلّة التاريخ العربي . العدد 43.

- عمارة، محمد. (1999). مخاطر العولمة على الهوِيَّة الثقافية. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. ط1.

- كالفي، لويس جان. (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية. ترجمة حسن حمزة . مراجعة سلام بزي حمزة . مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1.

- كالفي، لويس جان. (2008). علم الاجتماع اللغوي. ترجمة حسن حمزة . مركز دراسات الوحدة العربية . ط1. 2008.

- الأوزاغي، محمد. (2002). التعدّد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. منشورات كليّة الآداب بالرباط . ط1.

- البوني، عفيف. (2013). في فلسفة الهويَّة والانتماء. من كتاب: الهويَّة وقضاياها في الوعي العربي المعاصر. تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1.

- تلّ، سعيد. (2006). هويّة الإنسان في الوطن العربي"مشروع قراءة جديدة" الحلقة الأولى. جريدة الدستور عمّان. نشر في الاثنين 20 أكتوبر 2006 على السّاعة 20.00 مساء.

- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. (دت). معجم التعريفات. تحقيق ودراسة محمّد صدّيق المنشاوي. دار الفضيلة.

- خلّادي، محمد الأمين. (2015). التعدّد اللغوي في الجزائر . مجلّة دراسات في العلوم الإنسانية . العدد 22.

- خليف، بشير. (2017). التعدّد اللغوي الهويّة. وسؤال في ظلّ صراع القيم والمرجعيات. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانيّة.ب/ قسم الآداب والفلسفة. العدد 18. جوان.

- دلباني، أحمد. (2017). تجدّد الصراع اللّغوي في الجزائر . جريدة النصر اليومية. 23 أكتوبر .

- ديدوح، عمر. (2013). الصراع اللغوي في الجزائر تأزيم الهويّة. (http://www . Almarefh.net) الساعة 20.14 تاريخ الاطلاع 2013 /04/16.

- زاهر، ضياء الدين. (2017). اللغة ومستقبل الهوية التعليم أنموذجا. وحدة الدراسات المستقبلية. مكتبة الإسكندرية.

- سلامي، عبد الدائم. (2017). التعدّد اللساني في الجزائر ...اللغات كثيرة والهوية واحدة. جريدة القدس العربي. 15 يونيو.

- عناني، وليد وبرهومة عيسى. (2007) . اللغة العربية وأسئلة العصر . دار الشروق عمّان . ط1.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). القاموس المحيط. مراجعة: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد. دار الحديث. القاهرة. 2008. مادة (هَ وَ و).

- لهويمل، باديس و حسني نور الهدى. (دت). مظاهر التعدّد اللغوي في الجزائر . وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر.

- مسكيني، فتحي. (2011)،الهويَّة والحرية؛ نحو أنوار جديدة. جداول للنشر والتوزيع. بيروت. ط1.

- مصطلحات انثروبولوجية . httpMLLwww.annaba.orgLnbanwesL62L503.htrn

- ابن منظور . (دت). لسان العرب. دار صادر بيروت. مادة(ه و ا).

-Dubois .j. et autres (1973) , dictionnaire de linguistique, la rousse, paris.